جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

ظاهرة الاغتراب في الشعر الوجداني في مصر الحديث

رسالة ماجستير

إعداد
منى محمد طلبة

٨١١
٣٠٣

إشراف
الأستاذ الدكتور/ عبد القادر القط

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

حين قرأت رواية " الغريب " لألبير كامى فى مرحلة مبكرة من دراستى ، بدا لى بطلها نموذجًا مثيرًا للإعجاب والشفقة معًا . وحين وجدت اغترابه يتحقق — بشكل واعٍ — لدى زمرة من شباب مجتمعنا المعاصر ، وترددت فى نفسى أصداء شعورهم بالتمرد حينًا واللامبالاة حينًا آخر ، وتزاحمت على عباراتهم تومئ إلى حس بالاغتراب داخل الوطن ، فرض هذا النموذج نفسه على تفكيرى فوق انفعالى به . وحين توطدت علاقتى بالأدب العربى المعاصر — وبخاصة الشعر — حاصرتنى مشاعر " الغربة " وألفاظها الصريحة ومصاحباتها الدالة على الشعور بالوحدة واليأس والخوف ، فاكتسب نموذج " الغريب " ملامح جديدة مخالفة لتلك التى حفظتها له فى تعاطفى مع " ميرسو " ، وأصبح واقعًا أعايشه من خلال أناس حقيقيين وآداب قومية .

وبدأت فى هذا المضمار دراسة للتجربة الشعرية عند واحدٍ من شعرائنا الكبار هو صلاح عبد الصبور . وقد أثارت الدراسة — على الرغم من بساطتها — التساؤل والحيرة إزاء العلل والخصائص التى تتسم بها الظاهرة ، وقادتنى إلى الطموح لمتابعتها فى الشعر الوجدانى كمرحلة هامة سابقة على الشعر الحر ، وعقد موازنة بين تجلياتها الفنية فى كلتا التجربتين ، غير أن اتساع مناحى البحث قد عاقنى عن استكمال هذا الطموح وإن لم تخمد تطلعى إليه . فاقتصرت حتى هذا الحين على دراسة الظاهرة فى الشعر الوجدانى فى مصر .

وما أن بدأت فى تسجيل مفهومى للاغتراب فى ثقة بوضوحه فى ذهنى حتى كشفت عن عجزى عن التحديد والتعريف . فكان علىّ أن أنفض هذا الاقتناع الساذج بتمام معرفته لشيوعه . وظننت أن هذه المهمة لن تكلفنى سوى الرجوع إلى المعاجم وتأمل ما تحمله من دلالات للفظ . وإذا باللفظ يبدى مراوغة أكثر مما كنت أتوقع . فقد حفلت المعاجم اللغوية الغربية بمتابعة دءوب لدلالاته منذ أن كان إشكالاً يعانى وإلى أن أصبح مصطلحًا يتفق عليه ، وعرضت لتجلياته العريضة فى مجالات الأدب والعلم والفلسفة ، حتى بدت هذه التعريفات من التعدد والتناقض إلى الحد الذى زاد " الاغتراب " غموضًا .

أما المعاجم العربية فقد اقتصرت على ترديد تلك المعانى المنقولة عن السلف دون عناية بتطور اللفظ وثرائه الدلالى مع التقدم الزمنى واتساع مناحى استخدامه .

صحيح أن اللفظ مترجم عن الثقافة الغربية فى العصر الحديث ، غير أن المرء لا يسعه إلا أن يعجب إذ لا يجد أى تعريف لمشاعر الاغتراب داخل الوطن فى المعاجم اللغوية الحديثة على الرغم من شيوعه بألفاظه " الغريب — الغربة — مغترب ...." فى أدبنا الحديث على أقل تقدير .

و من ثم بدت رحلتى مع الاغتراب فى الثقافة الغربية بقصد استخلاص الدلالة ، و فى الثقافة العربية بقصد استكشافها — أمرًا لابد منه — و جاء تتبعى للاغتراب مقصورًا على تلك المراحل التى تبلور فيها أو ارتكز عليها لتطور جديد أو لمعنى طريف . و ذلك فى محاولة للتعرف عليه — دون إسراف — من خلال أمثلة من الآداب التى عبرت عنه فى هذه المرحلة أو تلك .

و بعد وقوف على دلالاته فى الفكر اليونانى و الوسيط تقصيته فى التجربة الشعرية الرومانسية الغربية لما عُرِفَ من تأثر الشعراء الوجدانيين بها . و على الرغم من استبعادٍ لتأثرهم المباشر بمفهوم الاغتراب فى الفكر الغربى الحديث ، فإن معاصرتهم لهذا الفكر مع وصول الاغتراب فيه لدرجة عالية من الرسوخ و الشيوع قد أغرتنى بتتبعه و التعرف عليه .

و ينتهى الفصل الأول إلى تحديد عام للاغتراب يقوم على استبعاد لبعض المفاهيم واستبقاء لبعضها واستنتاج لأخرى مما يسهم إسهامًا مباشرًا فى تعريفه تعريفًا أقرب إلى الوضوح ؛ كما انتهى إلى التمييز بين "الغربة" التى يعانيها النازح عن الوطن و "الاغتراب" الذى يعانيه المواطن داخل وطنه "كوعىٍ بالتنافر عاجز عن التغيير" .

و فى الفصل الثانى كان استقرائى للنصوص الشعرية فى الثقافة العربية عونًا على التعرف على الكثير من تفصيلات مشاعر الاغتراب كما تحققت فى النصوص الوجدانية .

و بدأتُ بدراسة مُوازِنَة بين الشاعر الصعلوك والشاعر القَبَلِى فى العصر الجاهلى ؛ إذ كانت معاناة الأول لهوانه الاجتماعى ، والثانى لتناهى وجوده ، تشكل فى مجملها وجهًا دالاً على العصر و طموحًا عاجزًا للاستقرار و الخلود و العدالة و الحرية يرهص لقبول الدين الجديد .

ومع احتدام الفتن والخصومات فى بدايات العصر الأموى بدا كل من الشاعر العذرى والشاعر الحضرى نموذجًا للمروق على الواقع المرير، وصوتًا عاليًا ينشد الخلاص إما فى عالم مثالى متعالٍ وإما فى السخرية والمغامرة المتكررة .

وفى العصر العباسى برز شاعران كبيران وضعا واقعهما موضع تساؤل، وعجزا عن الاندماج به ، بالتعالى عليه أو الزهد فيه . وهما المتنبى وأبو العلاء المعرى . الأول كان يتطلع من خلال حضارة عصره المزدهرة وطموحه الذاتى إلى الأسمى . والثانى كان يرى — من خلال عزلته — فى حضارة عصره أفولاً لابد وأن تصير إليه .

وانفرد الصوفية بالاصطلاح على " الغربة " فى الثقافة العربية . وهم وإن تنافروا وواقعهم المادى لم يعجزوا عن الاتحاد بمثالهم وإبطال تلك الثنائية التى تفصلهم عنه .

ويبرز أبو حيان التوحيدى كفيلسوف الاغتراب الاجتماعى الأول فى الثقافة العربية — إن صح التعبير — إذ استخدم لفظ "الغربة" مباشرة للدلالة على تلك العلاقة المختلة بين الفرد ومجتمعه .

ويخلص هذا الفصل إلى أن مشاعر الاغتراب قد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالشعراء وتجلت فى تجاربهم . وأن هؤلاء الشعراء قد أفلحوا فى أن ينشئوا ما يمكن أن نستخلص منه فلسفة للاغتراب فى الثقافة العربية ، فالاغتراب سمة يستقل بها المتميزون فى مخالفتهم للمجموع ، وهو نوط تميز وألم فى آن . وتفرد الأكفاء بالوعى والمعاناة .

وما من شك أن الشعراء الوجدانيين قد أفادوا من نزعة التعالى أو الزهد عند شعراء العربية المغتربين ، كما أفادوا من التجربة الباطنية الصوفية فى صياغة قصائدهم المناهضة للخارج ، ومن التجربة العذرية فى شحذ فرارهم الحالم إلى المثال .

وقد حاولت قدر الطاقة أن لا أعيد مكرورًا عند استعراض الواقع الاجتماعى الذى نشأت فيه ظاهرة الاغتراب عند الوجدانيين ولكنى لم أجد مفرًا من استعراضه ،

إذ أن ظاهرة الاغتراب هي ظاهرة اجتماعية في المقام الأول تقوم على علاقة الفرد بالآخر والزمان والمكان ، فآثرت التركيز على تشتت المواطن المصري في هذه الحقبة بين المتضادات ، ومعاناته لتراكم الصراعات مما حال دون تحول وعيه الذي نضج في هذه الحقبة إلى موقف حاسم وواضح قادر على التغيير وتجاوز الاغتراب. واستشهدت بالنصوص على وعي الشعراء الوجدانيين بهذه الصراعات وتعبيرهم المباشر عنها . وإن كانت هذه النصوص قليلة لا ترقى إلى مستوى عالٍ من الفنية . ذلك أن صراع الوجدانيين مع واقعهم ومجتمعهم قد أصبح سداة ذواتهم ولحمتها ولم يكن موقفاً خارجياً يتيسر التقاطه والإشارة إليه . هذه المعاناة هي التي تنجح في التحول إلى أشكال فنية قد تبدو بعيدة عن الجذور الاجتماعية التي أنتجتها .

والتفت في هذا المقام إلى شعراء الإحياء والتجديد الذين سبقوا الحركة الوجدانية وبشروا بها. وقد اتخذ الاغتراب لديهم مدلولين رئيسيين : الأول — وهو الغالب — يتسق ومعنى الغربة التقليدي بمعنى النزوح عن الوطن ، والثاني قليل يرهص للاغتراب الوجداني وفي غير تحميل صريح للفظ "الغربة" و "الاغتراب" لدلالات معنوية جديدة بعيدة عن الدلالات المعجمية التقليدية . وعرف الاغتراب في شعر خليل مطران مدلولاته الوجدانية من الانطواء على الذات والفرار إلى المثال والتجربة العاطفية . أما شعراء الديوان فقد كانت نبرتهم المتنافرة مع الواقع جهورية لا تخلو من ازدراء وتعالٍ على الآخر يبررها ريادتهم لطريق جديد لم يألفه الناس . وينفرد عبد الرحمن شكري بكثرة التعبير المباشر عن اغترابه محملاً لفظ الغربة دلالات الشعور بالوحدة والحزن واليأس في الوطن . ويستبدل أبو شادي غربة باغتراب ليصبح في النهاية "غريب الدارين" . وهو ما نلمحه بوضوح عند شعراء المهجر في جمعهم الفريد بين مشاعر الاغتراب في منحاها الروحي والغربة في منحاها المادي ، مما أوقد حنينهم الجارف إلى وطن مثال مجاوز للواقع الذي مضى أو الواقع المعيش .

وفي الباب الثاني عُنيتُ بدراسة ظاهرة الاغتراب في الشعر الوجداني من خلال ثلاثة محاور رئيسية ارتكز عليها الوجدانيون لمناوئة فوضى واقعهم ولاضفاء لون من النظام على عالمهم المثالي الذي يتطلعون إليه . هذه المحاور هي : التسامي بالذات ، والفرار إلى عالم المثال ، والاستغراق في التجربة العاطفية .

وعلى الرغم من جدلية العلاقة بين هذه المحاور الثلاثة وصعوبة انفصام بعضها عن بعض ، وتمثلها في جدليتها هذه عند هؤلاء الشعراء جميعًا ، فإن أحدها قد يغلب عند شاعر دون الآخر . ومن ثم اختص كل فصل في هذا الباب بمحور منها وبالشاعر النموذج الذي يمثله : فيعرض الفصل الأول للمحور المثالي عند محمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري ، والثاني للمحور العاطفي عند إبراهيم ناجي ، والثالث للمحور الذاتي عند علي محمود طه ، ويعرض الفصل الرابع للتجربة الشعرية عند الدكتور عبد القادر القط بوصفها مرحلة انتقالية بين الشعور بالاغتراب وتجاوزه .

وسمحت الدراسة المستقلة لكل شاعر على حِدَة باستبانة مفهومه للاغتراب والعوامل النفسية له، كما تبلورت في المعجم والصياغة ، وذلك من خلال دراسة مجملة للتجربة الشعرية عنده ، يعقبها دراسة تحليلية مُفَصَّلة لبعض القصائد المختارة الدالة على مفهومه الخاص للاغتراب .

وقد تتبعتُ في هذا البحث منهجين : الأول : المنهج التاريخي الذي يُعْنَى باقتفاء ظاهرة الاغتراب بغية تحديدها وتعريفها في الباب الأول . والثاني : المنهج الأسلوبي الذي يُعْنَى بمعالجة النصوص موضوع البحث . وكان عليَّ — وأنا أختار النصوص للدراسة — أن أستبعد من شعر الشاعر ما لا يدخل في نطاق ظاهرة الاغتراب ، وأن أنتقي بعض النصوص التي يتجلى فيها معنى الاغتراب وصورته ، مُحيلةً كلما اقتضت الدراسة إلى نصوص من شعر الشاعر ترتبط في موقفها أو فنها بالنصوص المنتقاة .

وخلصت إلى أن كلاً من هؤلاء الشعراء كان يتردد ما بين ثنائية متنافرة ، يتدنى بطرف منها ، ويعلو بالطرف الآخر إلى مرتبة القداسة . وهو إذ يحسم رفضه للطرف الأول ، يخفق دائماً في بلوغ الطرف الثاني والاتحاد به .

هذه الثنائية تمثلت في الأصالة والزيف عند محمود حسن اسماعيل، والموت والخلود عند الهمشري . والحب والتنابذ عند ناجي . والمادة والروح عند علي طه . والحقيقة والخيال عند القط .

و قادتني هذه المفاتيح في النهاية إلى التعرف على كنه اغترابهم الذي لم يكن انفصاماً واعتزالاً عن مجتمعاتهم بقدر ما كان تبشيراً بالممكن و طموحاً للتغيير. و هم في إقبالهم على الآداب الغربية أو التراث العربي لم يكونوا مقلدين أو عاجزين وإنما كانوا مستوعبين لأزمة العصر و متجاوبين ومقتضياتها . وجاءت إبداعاتهم في النهاية رصداً لهذا التوتر بين نبذٍ لقيم بالية يَعُون فسادها و تطلعٍ لقيم جديدة عصية على الوضوح والاستقرار في مرحلة التحول . إن هؤلاء الشعراء واجهوا واقعهم بالحلم لا بالحركة ، و واجهوا الآخر بالتفوق لا بالمشاركة ، غير أنهم حين فعلوا ذلك كانوا يؤكدون احتجاجهم على الثبات، و حين أخفقوا في الاستغراق المطلق في عالمهم المثالي كانوا يرفضون أن يكون عالماً بديلاً قابلاً للاستيطان بشكل نهائي .

و تأتي مشاعر الحزن واليأس دليلَ صدقٍ على رغبتهم الملحة في الوصال بواقعهم و مباشرته و لكن بعد تغييره . فهم ليسوا مثل الصوفية يستهدفون الغيبي و ينتشون في حضرته في تغييب تامٍ لما عداه . انهم يستهدفون الواقع و قد تحامى و شارف المثال . و هذا يفسر ارتداداتهم المتكررة اليه شاكين و ساخطين ، و يفسر عداباتهم التي لا تهدأ في صحبة المثال مجرداً و عصياً على التعيين والتحقق . لم يكن أدبهم متشائماً يكتفي بتدمير الواقع بل كان يقترح مشروعاً لشيء جديد يظل مبدداً بين الرغبة والإمكان . وهم إذ يكشفون عجزهم عن بلوغه و تعيينه ينوطون هذه المهمة بلاحقيهم و يستحثونهم على صياغته واقعاً و أدباً جديداً ، وهو ما تحقق مع حركة الشعر الحر .

صحيح أن اغتراب هؤلاء الشعراء ظل في مرحلته حاملاً لشكلٍ سلبي للعلاقة بينهم وبين ذويهم إلا أنهم كانوا يتطلعون إلى المصالحة في عالم أفضل ، وهو ما يؤكد إصرارهم على معاودة الإبداع واستمراره رغم كل ما في الواقع من دواعي الإحباط و ما في المثال من مراوغة .

و بعد رحلة طويلة في هذا البحث و بين نصوص عبرت عن الذوات الوجدانية في مصر ، زاد فضولي للتعرف على النتاج الوجداني متحررة من دعاوى التقليد للآداب الغربية أو السير في ركابها ، و دعاوى اعتزال هؤلاء الشعراء التام لمجتمعهم ،

تحدونى رغبة للتعرف على الهوية التى لم تُطمَس ، وإنما تبحث عن الدرس الذى يجد فى الاستدلال عليها وتحديدها لنزداد وعيًا بها وانطلاقًا منها .

وبات " نموذج الغريب " فى النهاية جنينًا نابضًا متحركًا لا هو بالمنقطع عن الحياة ولا هو بالمتحرك فيها ، لكنه يَعِدُ بالتحول وينتظر جهود المخلصين لاتمام الميلاد الجديد لكى ينهى اغترابا بانتماء .

وتدين هذه الدراسة بالفضل إلى ثلاث دراسات رئيسية . الأولى دراسة الأستاذ الدكتور عبد القادر القط " الاتجاه الوجدانى للشعر العربى الحديث " وتميزت هذه الدراسة بعنايتها المباشرة والمتخصصة للنصوص الوجدانية مما ينعها فى مكانها الصحيح على خريطة الأدب العربى ، وذلك بدءًا من الاصطلاح عليها " بالوجدانية " وانتهاءً بتحديدٍ لخصائصها المميزة كما تمثلت فى المعجم والصورة والصياغة والموضوع .

والدراسة الثانية دراسة الأستاذ الدكتور ماهر حسن فهمى الذى سبق إلى البحث فى " الحنين والغربة فى الشعر العربى الحديث " ملتفتاً بذلك إلى قضية هامة من قضايا الأدب العربى تحيل إلى تصور أكثر نضجًا ومعرفة أعمق بالفن والحياة معًا . غير أن هذه الدراسة قد خلطت ما بين الاغتراب والغربة ولم تتبنَ مفهومًا واضحًا ومستقرًا أو حتى متطوراً ومتناميًا لأى منهما . كما كانت كثرة النصوص التى عالجتها دون الاقتصار على مرحلة أو اتجاه عائقًا دون الوقوف على تفصيلات خصائصها الفنية .

والدراسة الثالثة هى " الاغتراب " للأستاذ الدكتور محمود رجب . وهى الدراسة الفلسفية العربية الرائدة التى استوفت العرض والتحليل لظاهرة الاغتراب فى الثقافة الغربية وإن لم يفتها العروج السريع على تحققاتها فى البيئة العربية بما يفتح أبوابًا عديدة أمام الباحثين ويستحثهم للدرس .

وأخيرًا لا يسعنى إلا أن أتوجه بعميق الشكر والعرفان لأستاذى الدكتور عبد القادر القط الذى تلقى خطواتى الأولى على طريق العلم بتوجيه العالم الرائد والمعلم الجليل ، وبرحابة صدر الوالد الكريم ، وتحمل معى ومعى الكثير من الظروف التى أحاطت هذه الرسالة .

الباب الأول: الاغتراب مفهوماً ومصطلحاً

الفصل الأول : التعريف

ا. المعنى اللغوي

ب. تطور معنى الاغتراب في الثقافة الغربية.

يصعب على الباحث تحديد مفهوم "الاغتراب" تحديداً دقيقاً أو تقديمه في شكل صالح للتعميم على نحو شامل ، ذلك أن المعاني والأبعاد التي اكتسبها "الاغتراب" تنوعت وتشعبت وتراكمت وتناقضت أحياناً نتيجة لعدد من العوامل : أولها امتداد مفهوم الاغتراب امتداداً تاريخياً ملازماً للوجود الإنساني - ينحصر حيناً ويعم حيناً - وذلك منذ أن اغترب آدم وحواء بهبوطهما إلى الأرض وانفصالهما عن الحضرة الإلهية وطنهما الأصلي [1] ، وحتى العصر الحديث الذي أصبح الاغتراب "شعاراً" له [2] . وثانيها : امتداد الاغتراب على نحو شامل كمصطلح [3] في العلوم الإنسانية الحديثة متطرقاً إلى المجالات الاجتماعية والفلسفية والنفسية والأدبية . وثالثها : ذيوع المصطلح وانتشاره في الاستخدام اليومي بين الناس مما أكسبه ألفة وذيوعاً محببا معهما وضوح الرؤية ودقة الدلالة . ورابعها : قيام مصطلح الاغتراب بعبء وصف الاختلال في علاقات الإنسان بذاته وبالآخرين وبالمجتمع وبالوجود وبالله ، في استقلال هذه العلاقات المتعددة بعضها عن بعض وفي تداعيها ، مما يؤدي إلى

---

(١) جاء هذا المعنى في السياق الديني في العصور الوسطى عند رجال الدين المسيحي ، انظر : Encyclopedia Britanica, London, 14 th edition, 1938, alienation, 1 : 683.
ويقول الصوفية باغتراب الإنسان على الأرض لانفصاله عن الله ، وهو ما سنفصل الحديث عنه فيما بعد .

(٢) ريتشارد شاخت ، الاغتراب ، ترجمة كامل يوسف حسين ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ ، ص ٥٦ .

(٣) نفرق في هذا الفصل بين "المفهوم" "connotation" و"المصطلح" "terme": والمفهوم هو المعنى الذي تستدعيه كلمة ما غير معناها الأصلي وذلك لتجربة فردية أو جماعية ، فالاغتراب كمفهوم يستدعي معاني الوحدة والعزلة والانفصال ..... الخ ، وأما المصطلح فهو كلمة أو عبارة تتصل بفرع من فروع المعرفة وتفهم في إطار نظرية من النظريات الفنية أو الأدبية أو العلمية التي تتبنى هذا المصطلح وتجيزه ، ويكون له بذلك معنى محدد في الإطار المستخدم فيه .
انظر : د . مجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤ ، ص ٨٧ و ص ٥٦ .

تغيرات لمفهوم الاغتراب والدلالات التي ينتجها ، وهو ما يصعب حصره أو تثبيته في قالب مستقر .

هذه الأسباب تتآزر على إبراز فكرة الاغتراب كـ " فكرة ذات مفهوم غامض و معاني مراوغة " (١) . ولفظ الاغتراب كـ " واحد من أصعب الألفاظ التي يمكن تعريفها في اللغة " (٢) .

والباحثة إذ لا تفسح مجالاً للجدل حول اتساع معاني الاغتراب ، وحول الغموض الذي اكتنفه من خلال قبوله التطبيق بين ظواهر شتى ، تسعى في هذا الفصل إلى تحديد " ماهية " الظاهرة التي تتبعها في بحثها ، وذلك من خلال النظر في المعنى اللغوي للفظ الاغتراب ، والتعرف على الروافد الفكرية الأساسية التي ارتكز عليها الاغتراب في مساره التاريخي الطويل منذ أن كان مفهوماً يدرك ويحس إلى أن أصبح مصطلحاً دقيقاً . وتمكننا هذه الدراسة على استبعاد لبعض مفاهيم الاغتراب واستبقاء لبعضها واستنتاج لأخرى مما يسهم إسهاما مباشرا في تعريفه تعريفاً أقرب إلى الوضوح في الشعر الوجداني موضوع البحث .

المعنى اللغوي :

تثبت " للغربة " و" الاغتراب " ومشتقاتهما في المعاجم العربية (٣) معنى البعد

---

(١) Encyclopedia Britanica, Chicago, Encyclopedia, 15 th. edition, Vol, Printed in, Britain;

(٢) Raymond Williams, Keywords, A Vocabulary of culture and society, Britain, Fontana, Alienation, P 29.

(٣) اعتمدت في استخلاص معاني مادة غرب ومشتقاتها على المعاجم الآتية :
أ - ابن سيدة (منتصف القرن الخامس الهجري) ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .
ب - ابن فارس ، (أواخر القرن الرابع الهجري) مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، عيسى الحلبي و شركاه ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ .

والنوى والنزوح عن الوطن ، أي الابتعاد عن المكان : يقال : " أَغْرَبْتُ الرجل وغَرَّبْتُه " إذا نحيته ، و " غَرَبَ " : بَعُدَ ، و " دارُهم غُرْبَةٌ " : أي نائية ، و " أغْرَبَ القوم " أي انتووا ، ويقال " أغْرِبْ عني " : أي تباعد ، وفي الحديث أن النبي أمر بتغريب الزاني سنةً إذا لم يُحصَن، وهو نفيه عن البلد الذي وقعت فيه الجناية . ويقال " رجل غُرْب بضم الغين والراء وغريب " : بعيد عن وطنه . ومن المعاني المجازية الطريفة " غروب الشمس " التي هي كالغربة بمعنى البعد عن الوطن ، كأنه بعدها عن وجه الأرض (١) .

ومعنى الانفصال عن الآخر : يقال " رجل غريب " : ليس من القوم ، والجمع الغرباء : الأباعد ، و " الغَرْبُ " : الذهاب والتنحي عن الناس ، و " غَرَّبَ امرأته " أي انفصل عن زوجته بالطلاق . وفي الحديث قال له أن امرأتي لا تَرُدُّ يَدَ لامس فقال غَرِّبْها أي أبعدها بهذا الطلاق .

ومعنى الألم والحزن والتشاؤم : يقال : " أَغْرَبَ الرجل " : اشتد وجعه ، و " الغَرْب " مسيل الدمع . وأيضا : البثرة في العين والورم في المآقي ، وكل فيضة من الدمع هي " غَرْبٌ " ، و " الغُرُوب " : الدموع ، و " الغَرَب " : داء يصيب الشاة فيتحط خرطومها ويسقط منه شعر العين ، ويقال إذا ضاق على الإنسان معاشه " ضُرِبَ عليه رِجْلُ الغُراب " ، ويقال " أشأم من غُراب " تشاؤما ، ويقال " غُرابُ البين " ذلك أن الغربان إذا بان أهل الدار وقع في مواقع بيوتهم يلتمس ما تركوا ، فتشاءموا به ، وتطيروا منه . إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غُرابَ البين واشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب وليس

جـ — ابن منظور (أوائل القرن الثامن الهجري) ، لسان العرب ، القاهرة ، دار المعارف .

د — الفيروز بادي ، (أوائل التاسع الهجري) ، القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٩١٣ ، ومن الملاحظ أن المعاني في هذا المعجم جاءت شديدة الخلط .

هـ — الزمخشري ، أساس البلاغة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

(١) هذا المعنى الطريف عند ابن فارس ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٢٠ .

فى الأرض بارح ولا قعيد ولا شىء مما يُتشاءم به إلا والغراب عندهم أنكد منه[1] .

ومعنى الحدة والتمادى والمبالغة: يقال "غَرْبُ الفرس" حِدته ، و"أَغْرَبَ الفرسُ فى جَرْيِه هو غاية الإكثار ، و "سيف غَرْبٌ" : قاطع ، و "غَرْبُ الشباب" حِدته ، و "استغرب فى الضحك" : أكثر منه ، ويقال "كففت من غَرْبه وكُفَّ من غَرْبِك" : أى من حِدتك .

ومعنى التميز والعلو والندرة : يقال : "غَوَارِبُ الماء" : أعاليه ، و "الغَارِبُ" أعلى الظهر والسنام ، و "غَارِبُ كُلِّ شَىْءٍ" : أعلاه ، وفى الحديث : الغرباء هم الأشداء وهم خيار الأمة . "الغُرَبَاءُ" الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى" ، "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، فطُوبَى للغُرَبَاءِ" ، ويقال تكلم فلان "فأغْرَبَ" : إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره[2] .

وقد يحمل التميز معنى الاضطهاد وإن بدا أنه مجرد تميز باللون . فيقال : "أغْرَبَةُ العرب" : سودانهم تميزاً لهم عن سواهم مثل عنترة بن شداد وسليك ابن السلكة ...

ومن الملاحظ أن هذه المعاجم لم تُعْنَ بسوق الكثير من الشواهد أو النصوص الأدبية ، كما لم تتجه إلى البحث فى تاريخ اللفظ ومشتقاته ، ولم ترصد التطور البلاغى والدلالى للفظ . وهى تكاد تتفق وتتحد فى شروحها وتفسيرها لمعانى الألفاظ دون أن يضيف الواحد منها جديداً وإن تأخر عنه فى زمن التأليف[3] . كذلك لم تفرق هذه المعاجم بين "الغربة" بمعنى البعد المادى عن الوطن و "الاغتراب" أى الشعور بالانسلاخ والبعد المعنوى داخل الوطن ، وهو معنى لا تخلو منه دواوين الشعر العربى كمفهوم إنسانى ملازم يتحدى قوى القهر والضرورة . وعلى الرغم من أن المعاجم العربية لا تصرح بمعنى الاغتراب المعنوى داخل الوطن ، فإن الدلالة اللغوية لمادة "غَرَبَ" — كما سبق استعراضها — قد تنطوى على مجموعة من المفاهيم الصالحة لتعريف الاغتراب بمعناه المعاصر ، وهو الشعور بالانفصال عن المكان والآخر والشعور بالحزن والألم والاضطهاد مع التفوق والتميز .

---

(١) الثعالبى ، ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ٤٥٨ — ٤٥٩ ، وهذا المعنى قاله الجاحظ فى كتابه الحيوان ٢ : ٣١٥ .

(٢) وجاء هذا المعنى بصفة خاصة عند الزمخشرى ، أساس البلاغة ٢ : ١٥٩ .

(٣) د . إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٨ وما بعدها .